

الذوق العرفاني عند الامام الهواري

The gratefulness of Imam Al-Hawari

عبد الوهاب الهاشمي*

جامعة وهران 1 (الجزائر)،

ملخص:

إن الحديث عن العظماء عامة وعن صفوة الناس من العلماء الربانيين والأولياء الصالحين أمر غير يسير، خاصة إذا تعلق الأمر بجانب الذوق والعرفان، ومما لا يدرك إلا من خلال الأحوال، والصالحون عادة ما يخفون أمرهم ويضبطون أحوالهم ليلا يطلع على أسرارهم من ليس منهم، فلا يفهم ما هم عليه فيفتن لذلك، لذلك فإني وجدت أن البحث في موضوع الذوق والعرفان عند الإمام الهواري أمر صعب ودقيق، ومع ذلك حاولت جهدي أن أجمع ما استطعت من معلومات تتعلق بالإمام معتمدا في ذلك على ما توفر لدي من مصادر ومراجع.

الكلمات المفتاحية: العلماء ؛ الصالحون ؛ العرفان ؛ الذوق

Abstract:

Talking about the great people in general and the elite of people from among the divine scholars and righteous saints is not easy, especially if it comes to the side of taste and gratitude, and what is not perceived except through the conditions, and the righteous usually conceal their matter and control their conditions at night when those who are not among them see their secrets, and they do not understand They are not attracted to this, so I found that researching the issue of taste and gratitude for Imam Al-Hawari is difficult and accurate, yet I tried my best to collect what I could of information related to the Imam, relying on what I have available from sources and references.

*المؤلف المرسل

بسم الله، الحمد لله الذي هدانا لمقامات الدين الإسلامي الكامل: الإسلام والإيمان والإحسان، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

إن الحديث عن العظماء عامة وعن صفوة الناس من العلماء الربانيين والأولياء الصالحين أمر غير يسير، خاصة إذا تعلق الأمر بجانب الذوق والعرفان، ومما لا يدرك إلا من خلال الأحوال، والصالحون عادة ما يخفون أمرهم ويضبطون أحوالهم ليلا يطلع على أسرارهم من ليس منهم، فلا يفهم ما هم عليه فيفتن لذلك، لذلك فإني وجدت أن البحث في موضوع الذوق والعرفان عند الإمام الهواري أمر صعب ودقيق، ومع ذلك حاولت جهدي أن أجمع ما استطعت من معلومات تتعلق بالإمام معتمداً في ذلك على ما توفر لدي من مصادر ومراجع، ومستعينا ببعض السادة العلماء والمؤرخين ممن قرأوا عن الإمام أو كتبوا أو حضروا مداخلات ومحاضرات، وأيام دراسية تتعلق بشخصية الإمام الجليل، وبما أن لكل علم مصطلحاته التي تعتبر مفاتيح دراسته وفهمه واستيعابه درج على وضعها المختصون فيه، فعلم الفقه والأصول مثلاً يتعذر فهمه على دارسه قبل معرفة مصطلحاته الفنية التي تواطى علماء الفقه والأصول على وضعها، وهكذا الشأن في التوحيد والمنطق ومصطلح الحديث والتاريخ وسائر العلوم، إذا فما هو الذوق؟ وما هو العرفان؟ وأين يظهر هذا الذوق العرفاني في شخصية الإمام الهواري؟ وما هي العوامل والأسباب التي من خلالها وصل إلى المقام؟

تعريف الذوق:

الدَّوْقُ: مصدر ذاق الشيء يذوقه ذَوْقاً وذَوَاقاً ومَذَاقاً فالذَّوْق والمذاق يكونان مصدرين ويكونان طَعْماً كما تقول ذَوَّاقُه ومذاقُه طَيِّبٌ والمذاق طَعْمُ الشيء والدَّوَّاقُ هو المأكول والمشروب.¹

ذكر لفظ الذوق في القرآن الكريم حوالي 63 مرة، وهذا الذوق لا يَحْتَصُّ بحاسة الفم سواءً في لُغَةِ القرآن أو في لُغَةِ الْعَرَبِ، قَالَ تَعَالَى: "وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ"² وَقَالَ تَعَالَى: "هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ"³. وَقَالَ تَعَالَى: "فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ"⁴. فَتَأَمَّلْ كَيْفَ جَمَعَ الدَّوْقُ وَاللِّبَاسَ حَتَّى يَدُلَّ عَلَى مُبَاشَرَةٍ

الدُّوقُ وإِحاطَتِهِ وشمُولُهُ فَأَفَادَ الإِخْبَارُ عَنْ إِذَاقَتِهِ أَنَّهُ وَاقِعٌ مُبَاشِرٌ غَيْرٌ مُنْتَظَرٌ فَإِنَّ الحَوْفَ قَدْ يُتَوَقَّعُ وَلَا يُبَاشِرُ وَأَفَادَ الإِخْبَارُ عَنْ لِبَاسِهِ أَنَّهُ مُحِيطٌ شَامِلٌ كَاللِّبَاسِ لِلْبَدَنِ.

وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ذاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وبالْإِسْلَامِ دِينًا ومُحَمَّدَ رَسُولًا"⁵ فَأَخْبَرَ أَنَّ للإِيمَانِ طَعْمًا وَأَنَّ القَلْبَ يَذُوقُهُ كَمَا يَذُوقُ الفَمُ طَعْمَ الطَّعَامِ والشَّرَابِ وقد عَبَّرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عن إدراكِ حَقِيقَةِ الإِيمَانِ والإِحْسَانِ وحصولِهِ للقَلْبِ ومُباشَرَتِهِ لَهُ بالدُّوقِ تَارَةً وبالطَّعَامِ والشَّرَابِ تَارَةً وبوُجُودِ الحَلَاوَةِ تَارَةً كَمَا قَالَ: "ذاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ... الحديث " وَقَالَ: "ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ "

يقول الإمام القشيري رحمه الله: "... ومن جملة ما يجري في كلامهم الدُّوق... يعبرون بذلك ما يجدونه من ثمرات التحلي ونتائج الكشوفات وبوادر الواردات..."⁷

تعريف العرفان:

العِرْفَانُ: العلم؛ قال ابن سيده: وَيَنْفَصِلَانِ بِتَحْدِيدٍ لَا يَلِيْقُ بِهَذَا الْمَكَانِ، عَرَفَهُ يَعْرِفُهُ عِرْفَةً وَعِرْفَانًا وَعِرْفَانًا وَمَعْرِفَةً.

قال الإمام القشيري رحمه الله: "المعرفة صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته ثم صدق الله تعالى في معاملاته ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة وآفاته..."⁸

المعرفة عند الأولياء والصالحين:

المعرفة عندهم هي: العلم الذي يقوم العالم به بموجبه ومقتضاه، فهم لا يطلقون لفظ المعرفة على العلم مجردا ولا يصفون بالمعرفة إلا من كان عالما بالله، أي بأسمائه وصفاته وأفعاله وبالطريق الموصلة إليه، ويعرفون آفات الطريق ومداحضها وقواطعها، وللعارف عندهم علامات مميزة:

أن يكون له حال مع الله تشهد له بالمعرفة، وبعبارة أخرى أن يكون له وجدا، وذلك الوجد هو الذي يعبرون عنه بلذة المعرفة أو الدُّوق المعرفي، فالعارف عند أصحاب هذا الشأن هو من عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله معرفة يترجمها صدقه مع الله تعالى في المعاملة ثم ينسلخ من أخلاقه الرديئة وآفاته الدنيئة، ثم يتطهر من أوساخه وأدرانته ومخالفته ونزاعه ثم يصبر على أحكام الله من نعمه وبلائه، وذلك ما

يعبر عنه أصحاب التصوف بالتخلي والتخلي.

قال الإمام الشبلي: "ليس لعارف علاقة ولا لمحب شكوى، ولا لعبد دعوى، ولا لخائف قرار، ولا لأحد من الله فرار".⁹ **Erreur ! Signet non défini.** فهذا ضرب من الذوق رفيع وفهم عن الله عال ومعرفة بالله قائمة على الحق والحجة والبينة الواضحة والبرهان الساطع، فإن المعرفة الصحيحة تقطع عن القلب كل العلائق فلا يبقى له تعلق إلا بمعرفه ومعبوده جل جلاله.

وقال آخر: "العارف فوق ما يقول والعالم دون ما يقول" ومراده بذلك: أن العالم علمه أوسع من حاله وصفته، والعارف حاله وصفته فوق كلامه وخبره، وفراسة العالم تكون ظناً يوجب تحقيقاً، وفراسة العارف تحقيق يوجب حقيق، همة العالم في كثرة الأعمال ، وهمة العارف في تصحيح الأحوال، من هنا فإن الحديث عن العارف بالله أمر عسير لخفائه وتستره فهو فوق ما يقول ونحن لا نعرف عن الشخص إلا ما يقول، وبالمثل فإن الكلام في الذوق أمر صعب لأن الذوق لذة لا يصفها إلا من بجدها، وأحياناً لا تسعفه العبارات فيشير إليها برموز لا يدركها إلا من ذاق مثله.

الإمام سيدي محمد بن عمر الهواري:

هو سيدي محمد بن عمر بن عثمان سبع بن عياشة بن سيد الناس بن خير الغياري المغراوي¹⁰ ، ولد رضي الله عنه عام 751هـ/1350م بمهارة، وفيها قضى أيام طفولته إذ نشأ بين أبوين كريمين في أسرة متدينة رعاها أبوه منذ نعومة أظافره، وقد لا حظ عليه علامات النباهة والذكاء فاهتم به وتربيته اهتماماً بالغاً، وما أن بلغ السن الذي يمكنه أن يبدأ فيه التعلم فكر والده الذي كان حاملاً لكتاب الله وكان من رؤساء القوم وساداتهم موسوماً بالجوهر والإيثار، وعلو الهمة لذلك اختار لولده محمد شيخاً يتولى تعليمه وتربيته، وكان ذلك الشيخ هو سيدي علي بن عيسى ولم تذكر المصادر عنه أي شيء¹¹ ، وقد عهد إليه الوالد الاعتناء بابنه وحمله أمانة تعليمه وتربيته ووجهه نحو التزام جانب التزهد في تعليمه فقال له: "يا علي إياك أن تضجر هذا الولد أو تسوطه، فإني أرجو من الله أن يفرحني به ومنه أسأل تسديده ومعونته"¹² ، ونستشف من وصية الوالد لشيخ ابنه أنه كان على دراية بمنهجية التربية والتعليم وأنه كان لا يجذ الضرب والترهيب وهما أمران يتنافيان مع السلوك البيداغوجي، كما نستشف منه أنه كان على درجة

عالية من الفهم والفراسة كثير الرجاء في الله، لذلك رجا الله تبارك وتعالى أن يبلغه مراده في ولده، وتحقق ذلك وصدقت فراسته، وصدق قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله"¹³، ثم قرأ: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ"¹⁴. أي للمتفرسين عند بعض أهل العلم.

الشيخ والتلميذ:

رأى الشيخ من خلال ملاحظاته لمحمد بن عمر بعض علامات الفتور، فظن أن ذلك ضرب من البله والبلادة أو التخلف الذهني لدى التلميذ محمد لما رآه يتصرف تصرفا مختلف عن تصرفات أقرانه من التلاميذ والشباب، فاستعمل معه العنف والزجر وبلغ ذلك والده فأتى فقال له: "يا فقيه لا تضربه ودعه على حاله فإنني أودعته لخالفه... ولا وقفت له على كذبة"¹⁵.

رحلاته العلمية والمعرفية:

حفظ سيدي محمد الهواري القرآن في سن مبكر لم يتجاوز عشر سنين، وتاقت نفسه إلى طلب العلم والمعرفة فرحل شرقا حتى نزل بقرية كلميتو شرق مستغانم قرية سيدي علي كسان، حيث تلقى تربيته الصوفية على يد شيخ صوفي كان يتعبد في غار هناك، فأكرم الشيخ وفادته ودعا له أن يكون من أهل الطريق¹⁶، وذلك لما رآه عليه من أمارات الصلاح وصدق نيته، وفي هذا يقول الشيخ سيدي أحمد بن موسى الكرزازي: من جانا بالصدق ريناه وبلغ في نهاروا. وما إن حصل محمد الهواري منيته ومراده استأذن في الرحيل إلى طلب المزيد من العلم والمعرفة وإلى من يأخذ بيده فيقطع به المراحل، فكلفه ذلك أن جال في أرض الله فقطع الصحاري والفيافي يأكل ما وجد وينام حيث انتهى به المقام، لا يبالي بالوحوش والسباع لأن مطلوبه كان أعلى وأشرف وأسنى وذلك هو شأن الصالحين والعلماء العاملين من أمة سيدي المرسلين الذين قذف الله في قلوبهم ذوق حلاوة الإيمان حتى خلطت بشاشة قلوبهم فتواجهوا ووجدوا واستوحشوا من الدنيا وأهلها واستأنسوا بمعبودهم، فلما علم منهم الصدق فتح عليهم وقرّبهم.

رحلته إلى بجاية:

واصل سيدي محمد الهواري رحلته إلى مدينة بجاية الشهيرة آنذاك بالزاويا والكتاتيب، وكانت

إحدى قلع العلم وبها كان قد نزل الشيخ سيدي بومدين شعيب التلمساني بعد مقدمه من الشام ومشاركته في الحروب الصليبية مع صلاح الدين الأيوبي، فمكث بها مدة زمنية يطلب العلم والطريق أي علم الشريعة وعلم الحقيقة، واتصل بأجل علمائها ومشايخها وأخذ عن الشيخ الوغليسي وأحمد بن إدريس وانطوت له المسافة فحاز مرتبة في العلم والمعرفة انتهت بإجازة مشائخه، وكثيرا ما كان يثني على أهل بجاية وأنه لم يرى مثلهم في الصدق والورع حتى قال في نظمه المسمى بالتسهيل¹⁷:

لو وصفت لك ما رأيت في بجاية وهي هيا بلد الورع والعلم وتراي حقيقيا

رحلته إلى فاس:

ومن شان أولياء الله أن الله تعالى متى علم منهم الصدق قذف في قلوبهم نورًا يحرك به خواطرهم ليجولوا في ملكه ويفكرون في آياته وآلائه ونعمائه، ومن فوائد ذلك أن يزداد العالم الطالب تبصرة وشوقا إلى المعرفة، وقد جرت عادة الله تبارك وتعالى مع أهله الذين اختصهم بالقرب أن يوحشهم من الخلق ليجمع قلوبهم عليه، فيزدادون بذلك دنوا وقربا ويتلقون من العلم ما لا يخطه قلم ولا يتسع له قرطاس، **Erreur ! Signet non défini** وذلك هو الوجد الذي يحدث عنه القوم ويكون مصحوبا بأحوال نورانية يتولد عنها ذوق رفيع، فيتلذذون بالمناجاة ويتلذذون بالذكر فيفتح الله عليهم ويمدهم من أسرار وأنواره، فما خطرت فكرة على قلوبهم إلا رفعوها إلى محبوبهم فتأتيهم الرسائل، وذلك هو الذي يعبر عنه القوم بالمكاشفة والمشاهدة، خرج محمد بن عمر من بجاية قاصدا مدينة فاس فوصلها قدس الله سره فقيرا لا يملك من حطام الدنيا شيئا منشدا طلب الحقيقة وبلوغ ما بلغته الرجال، ويحدثنا رضي الله عن رحلته إلى فاس فيقول¹⁸:

دخلت فاس غريب وقد آويت للسعا وقد نشتهي خبزا أو كسكسو شبعنا

وبها أخذ ينهل من طريق التصوف حتى يشفي ظمأه للحقيقة وأخذ عن الشيخ سيدي موسى العبدوسي وعن علماء الفقه وعن أرباب علم الكلام كسيدي أحمد القباب، وكان سيدي محمد الهواري ذا مكانة عند أهل فاس، بل حتى المشايخ يعظمونه ويقدرونه ويخاطبونه بالسيادة مع أنه أصغر منهم بكثير.

رحلته إلى المشرق:

ومن فاس انتقل الإمام لأداء فريضة الحج وبقي هناك أعواما يغترف العلم من علماء الحجاز ذهب إلى بيت المقدس ليحصل له فضل الصلاة في المساجد الثلاثة: كما أخذ بمصر على الحافظ العراقي وغيره¹⁹، وبعد هذه الرحلة الطويلة رجع إلى بلده الوطن الحبيب وإلى مدينة وهران حيث استقر به المقام هناك، ونشر العلم ودعا إلى الله بحاله وقاله، وظهرت ولايته وانتفع خلق كثير وكان بمثابة الأب لسكان هاته المدينة وللوافدين عليها.

العوامل التي بلغ بها الإمام مراده من الذوق والعرفان:

(أ) توكله على الله:

التوكل هو من أعظم ثمار الإيمان والمعرفة، وأهم أسباب السعادة والطمأنينة، وبه يكون الالتجاء إلى تدبير الله وحكمته وعدم تعلق القلب بالأسباب، وينبغي أن يصاحب هذا التوكل التجريد، وهذا التجريد له معاني كثيرة ومن أرفع معانيه عند المتصوفة نزع كل العلائق من قلب المرید وتجرید عمله لله، وأن لا يبغى بعمله سوى وجه الله تعالى، فإذا ذاق هذا المعنى وتحقق منه، وعلم الله منه الصدق أناله مراده، كما وعدنا سبحانه في كتابه العزيز قائلا: **"Erreur ! Signet non défini"** إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا²⁰، ومن مظاهر تجرد الشيخ وحسن توكله على الله ما ورد عنه أنه كان في أوقات سفره لا يتخذ معه آلة من حديد، ولا يصحبه سوى دفاسه أو بريقه وعكازه وهو العصاة، قال في التنبيه:

وكم من طروق (كذا) امشيت ولا حبست قط حديد

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنه منذ نعومة أظافره كان مقتديا ومقتفيا أثر النبي صلى الله عليه وسلم في حركاته وسكناته، حتى أصبح قائما على قدم التجريد والتوكل، ولا يخشى الوحوش ولا السباع لتحقيقه بأن الذي يخاف الله يخاف منه كل شيء، ومن لم يخف من الله خوفه كل شيء، كذلك يدل أيضا هذا على أن الإمام كان كثيرا ما يحب الخلوة، لأنها الوسيلة القريبة لاستجماع فكرته وتأمله في ملك الله وملكوته وتدبر آياته ولأنه قيل: تفكر ساعة خير من عبادة سنة، وهذا شأن أهل التصوف أنهم في بداية أمرهم كثيرا ما يختلون بأنفسهم يذكرون الله مع استحضر عظمة المذكور الذي هو الحق سبحانه وتعالى القائل في الحديث القدسي: "أنا جليس من ذكرني..."، وهذا مع التعظيم لهذا الذكر

وذلك بالالتزام بآدابه لأنه قيل: من رأى الأشياء بعين التعظيم استمد منها وصار عند الله عظيما، ومن رأى الأشياء بعين النقص استمدت منه وصار عند الله ناقصا، وفي هذا المعنى يقول ابن الفارض قدس الله سره:

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا سرُّ أرقّ من التَّسِيم إذا سرى
فدهشت بين جلاله وجماله وغدا لسان الحال عني مخبرا
وأباح طربي نظرة أملتها فغدوت معروفا وكنت منكرا

(ب) ذكره الله:

إن للذكر مقام شريف، ومكانة مرموقة عند الصوفية، فهو الذي يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى الشهود، ويثمر المعارف والأحوال التي تثمر إليها السالكون، والتي لا سبيل إلى نيل ثمارها وبركاتها إلا من شجرة الذكر، فهو عندهم ركن أساسي وقوي في طريق الحق سبحانه وتعالى، قال ابن عطاء الله في حكمه: "لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه، لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره. فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر معوجود حضور. ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور"، والعبد إذا لم يستيقظ من غفلته فلا يمكنه قطع منازل السير الموصلة إلى معرفة الله تعالى، والتي خلق الله الإنسان لأجلها، مصداقا لقوله تعالى: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"20، قال ابن عباس في تفسير هاته الآية في معنى ليعبدون أي: ليعرفون.

يقول أحد المشائخ الصوفية:

عليك	بذكر	الله	واترك	كل	ما	سواه
جوف	القلب	يبرا	داه	من	كل	المساويا
فطهره	بالأذكار			واتبع	سنة	المختار

تدرك المعاليا

مداومة التكرار

وعلى هذا كان الشيخ الإمام محمد بن عمر الهواري يكثر من ذكر الله ويحب الاجتماع على

الذكر ويرغب فيه، قال في التبيان:

إذا سمعت الفقرا حين يذكروا يمش عقلي يجول في الأحوال ويقول أين ذا أش ص 89
وهذا يدل على أن الشيخ وصل مرتبة عظيمة في الذكر، حتى اطمئن قلبه وذاق حلاوة هذا الذكر
وغاب في حضرة الله، وفي هذا المعنى يقول الشيخ أحمد العلوي قدس الله سره:

يا رجال غابوا في حضرة الله كالثلج ذابوا والله والله
تراهم حيارى في شهود الله تراهم سكارى والله والله
تراهم نشاوى عند ذكر الله عليهم طلاوة من حضرة الله.

ولهذا تجدد مشايخ التصوف في كل عصر ومصر يلقنون مريديهم أورادا وبالحفاظة عليها بآدابها
وشروطها من الطهارة والتعظيم وإتيانها في أوقاتها والتسليم للشيخ بأنه يسير به إلى حضرة الله ويختصر له
المسافة، لأنه بالمداومة على هاته الأذكار يتذوق الذاكر حلاوة ذكر الله، ومن هنا فلا يستطيع أن يتخلى
هذا الذاكر عن ذكره وبالتالي يترقى في مقامات العرفان.

(ج) مجاهدته في العبادة وزهده في الدنيا:

لقد كان الإمام أعبد أهل زمانه متحققا بقوله تعالى: "والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا"²¹،
وكان ملازما لقيام الليل وقال ذلك في التنبيه: ما زي الرقاد، وقال في تبصرة السائل: أهل الرقاد مثل الربيع
اليابس. فمن خلال كلامه هذا تبين أنه كان يحيي الليل بالقيام والذكر، فما أن يصلي العشاء حتى يتهلل
وجهه قائما لقيام الليل بالسكينة والوقار.²²

وكان الإمام رحمه الله ممن ترك ملذات الدنيا وشهواتها وانقطع إلى الدار الآخرة ظاهرا وباطنا
بهمة عالية وبنفس طيبة راضية، وظهر عليه هذا في مطعمه، فكان لا يأكل إلا إذا جاع وإذا أكل فلا
يشبع، وإنما يأكل لأجل التقوى على العبادة، وقال أنه ما شبع قط، وفي يقول الإمام البصري: واخش
الدسائس من جوع ومن شبع فرب مخمصة شر من التخم

وكان أبو سليمان الدراني يقول: مفتاح الدنيا الشبع، ومفتاح الآخرة الجوع.

لهذا أخذ الإمام على نفسه طلب الحلال وكان لا يتقوت إلا بما علم حليته على أتم وجوه

الكمال لعلمه أن أكل الحلال شرط في طريق القوم وبه يفتح الله على صاحبه، وكثيرا ما كان طعام الإمام في خلواته الحشيش والنبات ويقول هذا العيش هو أطيب الطيبات، وإذا ما قدم المدينة وكل أمر غذائه إلى من يثق به من أهل الولاية والعرفان.²³

أما زهده في الملبس فذكر ذلك في منظوماته قائلا:

كنت بالحفى نمشي ولباسي أيضا سترا وخير الرزق ما يلغي أن الصبر للفقراء
وذكر أيضا أنه دخل مصر بثوب خلق من صوف مقتديا بمن سبقه من المتصوفة.²⁴

إذا فالكلام على الإمام لا ينتهي ولا ينحصر إذ أن حياته كانت مليئة بالإشراقات والتجليات عليه من قبل المولى تبارك وتعالى، فأوصله إلى بساط القرب والمشاهدة فعرف ربه بجمال الربوبية وإخلاص العبادة، فسيدي محمد الهواري ممن اختصهم الله بالولاية والعرفان، ولقد أشرنا في هاته الكلمات المتواضعة إلى نزر يسير للعوامل التي من خلالها تبين لنا أنه كان على قدر عظيم من الذوق والعرفان في مقام الإحسان، وظهر ذلك جليا في دروسه ومعاملاته مع الخلق كرفع المجتمع إلى مستوى أخلاقي عال جدا، وذلك بإصلاح قلوبهم التي محل نظر الحق فكان كل من يحضر دروسه يجد ضالته عند الإمام فلا يخرج من عنده إلا وقد شفي غليله، كذلك يظهر مقامه الذوقي والعرفاني من خلال طلبته كإبراهيم التازي الذي كان على قدم الشيخ في الولاية والعرفان.

الهوامش

- 1) ابن منظور، لسان العرب، المجلد الرابع، دار الفكر، ص 78.
- 2) سورة الأنفال، الآية 50. سورة الحج، الآية: 22.
- 3) سورة ص، الآية: 57.
- 4) سورة النحل، الآية: 112.
- 5) رواه الإمام مسلم.
- 6) أخرجه الإمام البخاري.
- 7) عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، دار الكتاب العربي بيروت - لبنان، ص 39.

- 8) المصدر نفسه، ص. 141.
- 9) عبد الكريم القشيري، المصدر السابق، ص. 141.
- 10) محمد بن سعد، روضة النسرین فی التعریف بالأشیاخ الربعة المتأخرین، تحقیق: یحیی بو عزیز، الطبعة الأولى (1905-2002)، ANEP، ص. 15.
- 11) ينظر: المصدر نفسه، ص. 48. بوداود عبید، محمد بن عمر الهواري، التعریف به وبنزعتہ الصوفیة، مجلة عصور، عدد 2، 1423هـ، ديسمبر 2002م، ص. 41.
- 12) محمد بن سعد، المصدر السابق، ص. 48.
- 13) رواه الترمذی فی الجامع الكبير (3127).
- 14) سورة الحجر، الآية 75.
- 15) محمد بن سعد، المصدر السابق، ص. 48-49.
- 16) المصدر نفسه، ص. 49.
- 17) المصدر نفسه، ص. 52.
- 18) المصدر نفسه، ص. 53.
- 19) محمد بن يوسف الزیاني، دليل الحیران وأنیس السهران فی أخبار مدينة وهران، تحقیق: المهدي البوعبدلي، الطبعة الأولى 2013م، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ص. 57.
- 20) سورة الأنفال، الآية 70.
- 21) سورة العنكبوت، الآية 69.
- 22) محمد بن سعد، المصدر السابق، ص. 73.
- 23) المصدر نفسه، ص. 60.
- 24) المصدر نفسه، ص. 58.